

## قراءة منهجية تاريخية في مذكرات محمد مهري ومضات من دروب الحياة

مقدمة:

كتابة المذكرات هو فن قائم بذاته من فنون الكتابة، لم يستقر فيها الكتاب على طريقة واحدة للتعبير عن ما خالج ويخالج صدورهم في قضايا الحياة . ولذا فقد تجدها يومية، كما قد تجدها مناسبة، وتجدها موضوعية كما قد تجدها ذاتية، وتجدها بريئة صادقة كما قد تجدها متلونة بألوان توازن القوى، وتجدها سطحية كما قد تجدها عميقة في الطرح.

وكتابة المذكرات عموما وتلك الخاصة بفترة الثورة الجزائرية ليست بالأمر الجديد بالنسبة إلينا كباحثين، ولكن ربما الجدي د فيها هو ما تكشف عنه في محتواها عن أحداث الثورة وعن الشخصيات الفاعلة فيها، ودور المثقفين في أحداثها، وعلاقتهم بعضهم ببعض، ومع المسؤولين العرب وفي العالمين، ونقاط الظل والمسائل المختلف فيها في تاريخ الثورة الجزائرية...

ويأتي اختيارنا لتناول مذكرات محمد مهري الموسومة بعنوان "ومضات من دروب الحياة" بقراءة منهجية تاريخية لتصب في هذا الإطار، وبالتالي معرفة قيمتها في التأريخ لنشاط الطلبة الجزائريين وتاريخ الجزائر بصفة عامة خلال مرحلة الثورة، من خلال التطرق إلى القضايا المتناولة فيها ومدى ارتباط كاتبها بأحداثها وبالمؤثرين في صناعة تلك الأحداث ومدى توثيقها وقراءة الأحداث التاريخية فيها ... فكانت تلك هي الإشكالية التي وددنا معالجتها في هذه المداخلة.

**التعريف بصاحب المذكرات:**

ينحدر محمد مهري بن علي بن الهادي بن أبي القاسم بن (؟= ابن وحيد لم يذكر اسمه) بن (م= رمز له محمد مهري بحرف الميم وربما تعني محمد ) من عائلة جمعت بين التدريس بالمساجد كما كان يفعل جده م (محمد ؟) حين كان مدرسا بمسجد عقبة بن نافع ببسكرة، وبين الفلاحة مثلما مارسها الأحفاد على أرض أجدادهم، من دوار "لولاش" ذات الأصول الأمازيغية الشاوية، تقطن جبل أحمر خدّو بين خنشلة وبسكرة في بيئة تنتمي إلى منطقة الأوراس. وقد جمع العنصر الشاوي كما هو معروف بين الغلظة والرقّة في آن واحد . وقد

ساهمت الظروف الحياتية مجتمعة في تكوين شخصيتهم هذه، والتي منها شخصية محمد مهري. منتهين في نهاية المطاف إلى أحكام الشرع الإسلامي وتطابق الأعراف والعادات والتقاليد في تسوية الخلافات ولو كلفهم ذلك البحث عن مفتين من مكان بعيد.<sup>1</sup>

ومن مظاهر رفض الظلم في شخصية عائلة مهري، تمرد والده علي ضد قايد قرية تافراوت التي استقر بها، الشيخ الزياي.<sup>2</sup> وقد انتهى التمرد إلى مقتل القايد وتسليم علي نفسه للقوات الفرنسية وسجنه بأريس، ثم بالحراش، حيث عملت إدارة الاحتلال على تجنيده رفقة الجزائريين الآخرين فأعلن تمرده ثانية وعكف على تنظيم حركة مسلحة مع الفارّين معه من السجن. وبفعل انعدام السلاح عدا ما كان لديهم من رماح قرر الفارّون العودة إلى مناطقهم الأصلية لتكوين خلايا مسلحة لكن السلطات الاستعمارية اكتشفت أمره بالقرب من سطيف فسجنته ثانية وأرسلته إلى مرسيليا ومنها إلى فاردان حيث قاتل قتالا بطوليا نال على إثره وسام المحارب. قبل ان يعود إلى الجزائر ويقطن بمشونش حيث أنجب زينب ومسعود ثم بمنطقة تكوت حيث رزق بابنه مح مد صاحب المذكرات، ثم بينان حيث ازدان فراشه بالسعيد، قبل أن يعود إلى مشونش حيث عاش بها إلى غاية وفاته بها في 18 أبريل 1974 في الثمانينات من العمر. وهنا كانت البدايات الأولى للتعليم القرآني للطفل محمد (صاحب المذكرات).

كانت انطلاقة مرحلة التمدرس سنة 1939 حين أمر الأب علي ابنه محمد بمرافقته إلى معلم القرآن الشيخ سي سالم بالكتاب الموجود بجي قرن أولاد علي بن عبد الرحمن. قبل ان يلتحق بمسجد سيدي بركات بجي الرمل حفظ فيه محمد نصف القرآن الكريم بدون اتقان بسبب القسوة حتى جاء الشيخ أحمد السرحاني سنة 1944 إلى مسجد الحي ثم إلى مسجد زاوية سيدي حمودة رفقة الشيخ حمودة زكرياء وهو من تلاميذ الشيخ عبد الحميد بن

<sup>1</sup> - محمد مهري، ومضات من دروب الحياة منشورات السائحي، ط01، الجزائر، 2013، ص ص 11 - 19.

<sup>2</sup> - كان هذا التمرد بفعل عمل الإدارة الفرنسية على تجنيد الجزائريين في الحرب العالمية الأولى وقد وجد علي من يتجنّد مكانه بمقابل مادي كما كان معمولاً به وكان قد جمع المبلغ المالي بعد أن باع جزءاً من أراضيهِ وبعد أن تعذر على الشيخ الزياي إيجاد من يتجنّد مكان ابنه اختلس المال من الشاب المؤجر ودفعه للتجنيد مكان ابنه بدلا عن أن يتجنّد مكان علي مهري فقرر علي التمرد رفقة أخيه ولم يعودا حتى قرر علي ان يسلم نفسه للسلطات الاستعمارية بعد ان رق قلبه حياة الأسرة لاسيما والدته للمزيد ينظر المصدر نفسه، ص 23 وما بعدها.

باديس، فشهدت مشونش نهضة حقيقية قادتها مجموعة من المناضلين على مختلف مشاربهم السياسية والأيدولوجية ومنهم رئيس خلية حزب الشعب بمشونش أحمد بن عبد الرزاق أو سي الحواس فيما بعد.<sup>1</sup>

وفي سبتمبر من سنة 1949 انتقل محمد إلى معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس وأعجب بأفكار تلاميذ وادي الزناتي والحروش من نجباء تلاميذ مدرسة الكتانية، لا سيما: عبد الرحمن مهري (أخ عبد الحميد مهري) وحملوي مهري وعبد المجيد كحل الراس وعمار شطايب وعلي قروي ومحمد قديد... لم يستطع اكمال السنة الثالثة والأخيرة بسبب المرض فانقطع عن الدراسة في تلك السنة (1952) وتفرغ للعلاج حيث أجرى عملية جراحية وعاد إلى الجزائر سنة 1953... وواصل دراسته بمعهد ابن باديس سنة أخرى حيث وفدت لجنة الامتحان من الزيتونة وقبل يوم واحد من اجراء الامتحان في صيف سنة 1954 التحق محمد ببناء الجهاد بالأوراس عن طريق صديقه محمد ميموني.<sup>2</sup> لكن لم يتصل به أحد من الثوار فقرر الانتقال إلى المشرق العربي في إطار بعثات جمعية العلماء التي دأبت على ارسالها هناك منذ سنة 1952. ومن مصر التي انتقل إليها عبر تونس وليبيا وجهه الشيخ البشير الإبراهيمي في نهاية سنة 1954 إلى سوريا حيث أنهى دراسته بها مساهما بمختلف النشاطات الطلابية النضالية في إطار رابطة الطلبة الجزائريين بالمشرق العربي، فرع دمشق التابع لجهة التحرير الوطني. قبل أن يعود إلى الجزائر في أوت 1962<sup>3</sup> حيث يتفرغ للعمل في الإذاعة ثم في مناصب كثيرة أهمها مدير إدارة الشؤون الدينية ممثلا لوزارة الأوقاف، وبعد أحداث جوان 1965 قرر الالتحاق بفرنسا لإكمال دراسته والحصول على شهادة الدكتوراه في القانون وهو ما كان له بباريس ومنها عاد إلى الجزائر ليدخل عالم المحاماة<sup>4</sup> إلى غاية اليوم، حيث له مكتب بالمدينة.<sup>5</sup>

1 - نفسه، ص 36.

2 - نفسه، ص 52 - 70.

3 - نفسه، ص 174 وما بعدها.

4 - نفسه، ص 223.

5 - محادثة خاصة لي معه في 20، 21 أبريل 2015 بفندق الأوراسي بالعاصمة

## التعريف بمذكرات محمد مهري:

جاءت مذكرات محمد مهري في كتاب مطبوع عن دار السائح بالجزائر، في 399 صفحة من الحجم العادي، وقد أهدى إليّ بنسخة منها بتاريخ 20 أبريل 2015 بفندق الأوراسي بمدينة الجزائر العاصمة. وقد تناول فيها حياته انطلاقاً من أصول عائلته وجذورها التاريخية إلى غاية الآن من خلال دراسة قضايا معاصرة ألفت بظلالها على كثير من التفاعلات السياسية كالمسألة الأمازيغية ...

وقد اعتبر مهري مذكراته هذه مرآة لنفسه حيث قال: "أيها القارئ العزيز: أعذرنى إن كنت قد أمّلك بحديث تحدثت فيه عن نفسي في مختلف أطوار حياتي التي استهلكت منها سبعين سنة. فالكتاب أولاً وأخيراً هو مذكرات وروايتها لا يمكن أن تنفصل عن صاحبها وهي ترسم لحياته صورة صادقة لا زيف فيها ولا تميم وتقدم لقارئها ما رافق حياة صاحبها من كفاح وتطورات وأحداث غطت مرحلة من أخصب وأغنى فترات تاريخ بلادنا".<sup>1</sup>

## القراءة المنهجية التاريخية للمذكرات:

حاولنا أن نختصر قراءتنا المنهجية التاريخية هذه في نقاط واضحة الدلالة والمعالم على النحو التالي:

- 1 - جاءت المذكرات حافلة بالأحداث التاريخية حيث غطت فترة تاريخية هامة من تاريخ الجزائر. فرغم أنها كانت تختص بحياة محمد مهري ودوره في الحياة لكنه قد حاول أن يسجلها (حياته) في إطار التاريخ المحلي والوطني والإقليمي. انطلاقاً من قريته بمشونش والثورة بالجزائر إلى غاية المشرق العربي والصراعات الدولية وعلى رأسها الصراع العربي الصهيوني.
- 2 - حاول محمد مهري في مذكراته هذه الجمع بين الرواية وإبداء رأيه فيما يعرض من أخبار أو أحداث تاريخية. فقد اختلفت مذكراته عن كثير من المذكرات الأخرى التي تكتفي بسرد الأخبار دون التعليق عليها كمنهج أُلزم به بعض المؤلفين أنفسهم. بينما اختار مهري الجمع بين جمع المادة الخبرية التي كان شاهداً عليها

<sup>1</sup> - نفسه، ص 08.

أو قريبا منها وبين إبداء رأيه فيها شرحا أو تعليقا أو تفسيراً . ويتجلى ذلك في عرضه لكثير من الأحداث التاريخية كدور جمعية العلماء في الثورة، ودور طلبة معهد عبد الحميد بن باديس وتلامذته لا سيما من قدماء المدرسة الكتانية وعلى رأسهم عبد الحميد مهري وعبد المجيد كحل الراس ... رحمهم الله تعالى في بث الفكر الوطني والوعي التحرري في تلاميذ معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس . إلى درجة ان أبدى إعجابه بهم رغم الإشارة إلى أنه يختلف معهم في الانتماء فهم من أبناء حزب الشعب وهو من أتباع جمعية العلماء.

3 - التركيز على الطابع الأكاديمي في الطرح، فرغم انه لم يعد في مذكراته إلى المصادر والمراجع باعتباره قد روى ما كان شاهدا عليه، لكنه اعتمد طريقة أكاديمية من حيث بناء الموضوع . فكان يقدم لفقراته (مباحثه) بنذ تاريخية عن القضايا المعالجة، فمثلا حين بدأ الكلام عن منطقته عاد أولا إلى أصولها التاريخية والجغرافية والإثنية، وحين تكلم عن التحاقه بمصر تكلم أولا عن الحياة المصرية قبيل دخوله إليها وأثناء تواجده فيها . وعن رأي الجزائريين في مصر والثقافة المصرية ومدى معرفتهم بها . وهكذا في اغلب المواضيع الأخرى... كما أنه كان يختم فقراته بخلاصات عن تلك الأحداث وعن رأيه فيها وأحكامه عليها . فقد كانت له تعاليق كثيرة عن الحركة الإصلاحية بالجزائر انطلاقا من مشونش وعن التكامل بين أبناء الحركة الوطنية الجزائرية في خدمة قضايا التحرر بالجزائر خاصة وأن تلك الفترة التي تناولها بالدراسة وهي فترة الحرب العالمية الثانية كانت مظاهر التقارب كثيرة فعلا بين تيارات الحركة الوطنية ومنها بيان فيفري 1943، وحركة أحباب البيان والحرية، ...

4 - تمكن محمد مهري من الإشارة إلى كثير من معالم الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية بالجزائر، ومصر وسوريا . فقد تناول بالحديث دور الطلبة الجزائريين بالمشرق سواء بمصر أو بسوريا، ودور الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في محاولات توحيد الطلبة الجزائريين والذي لم يكن دورا سهلا أبدا . خاصة وأنا نعلم الظروف القاسية التي كان يمر بها الشيخ البشير الإبراهيمي في ظل تازم

علاقاته مع أعضاء مكتب جمعية العلماء بالجزائر، وبوفد جبهة التحرير الوطني بمصر وكذلك بالسلطة المصرية التي كانت تحسبه على تيار الإخوان.<sup>1</sup>

5- التأريخ لنشاط الطلبة الجزائريين بالمشرق العربي<sup>2</sup> فمذكراته هذه تعتبر كتابا مصدريا فيه كثير من نشاط الطلبة الجزائريين ومسؤولي جبهة التحرير الوطني في خدمة وتدويل القضية الجزائرية من أجل نيل استقلالها. وفي ذلك أمثلة كثيرة سواء على مستوى الإعلام أو الخطب والتظاهرات الثقافية... ومن تلك الأحداث على سبيل المثال لا الحصر طبعا تأريخه لمؤتمر بير الباي بتونس الذي أشرفت عليه الحكومة المؤقتة في جويلية 1960. والذي يعتبر من أهم مؤتمرات الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين والذي جاء من أجل توحيد النضال الطلابي كما هو معروف بعد التأزم الحاصل بين طلبة المشرق العربي والطلبة الجزائريين المتواجدين بأوربا. وقد برز فيه على الخصوص كل من مسعود آيت شعلال وعبد الرحمن شريط دورا كبيرا على لسان محمد مهري الذي كان متساهلا في أحكامه عن الطلبة الجزائريين المتواجدين آنذاك بأوربا. حيث قال: "...كما أكد (يقصد المؤتمر) خيبة مزاعم الذين يتهمون طلبة المشرق بأنهم جاءوا إلى المؤتمر لفرض توجهات معينة، بينما كانت تدخلاتهم تتسم بالنضج وتهدف لتحقيق المصلحة العامة خدمة للدور النضالي للطلبة داخل صفوف الثورة".<sup>3</sup> أما أبو القاسم سعد الله فقد كان قاسيا في أحكامه وهو الذي كان شاهدا على المؤتمر بحكم كونه عضو في رابطة الطلبة الجزائريين فرع القاهرة. والذي قال عن الصراع الدائر بين الطلبة الجزائريين بالمشرق والطلبة الجزائريين الذين كانوا يزاولون دراستهم بأوربا: "...ولم يكن من السهل عليهم (الطلبة الجزائريون بالمشرق) الانضمام إلى

<sup>1</sup> - للمزيد من الاطلاع على أوضاع الشيخ محمد البشير الإبراهيمي هذه يرجى العودة إلى: أبو القاسم سعد الله،

مسار قلم ج 01، عالم المعرفة الدولية، ضمن الأعمال الكاملة للدكتور أبو القاسم سعد الله، الجزائر

2 - لمزيد من الاطلاع حول مساهمة الطلبة الجزائريين في دعم الثورة الجزائرية يرجى العودة إلى مقال مصطفى عبيد، "النشاط الثوري لأبي القاسم سعد الله 1947 - 1960"، مجلة عصور الجديدة، مختبر تاريخ الجزائر، جامعة وهران،

ع 13، أفريل 2014.

<sup>3</sup> - محمد مهري، مصدر سابق، ص 149.

الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين لولا قناعتهم بوحدة النضال ومواجهة العدو صفا واحدا. وكان بعض أعضاء الرابطة يعتقدون أنهم أحق بقيادة الحركة الطلابية المناضلة وتمثيل الثورة من زملائهم قادة الاتحاد العام. لأن الثورة في نظرهم تعني تحقيق الهوية الثقافية للجزائر بينما لا تمثل قيادة الاتحاد العام بتركيبها البشرية وبآرائها تلك الهوية. وقد كانت أغلبية أعضاء الرابطة من الفئات الشعبية المحرومة وهي نفسها الفئات التي خرجت منها قيادة الثورة الأولى. ونتيجة لهذا الموقف الواضح اتهم عدد من طلبة الرابطة بالبعثية والناصرية ومضادة قرارات الصومام وبالتالي ذهبوا ضحية اتهام باطل واحتفوا عن الأنظار<sup>1</sup>. وهي مجرد أكاذيب روجها خصوم طلبة المشرق عنهم فقد كتب محمد مهري في مذكرته هذه: "... ونقولها شهادة للتاريخ بأن طلبتنا في المشرق كانوا قد حافظوا على حيادهم أمام الأحزاب المشرقية، وقد استطاعوا ان يكسبوا ود الجميع وتعاون الجميع وتضامن الجميع مع جبهة التحرير والثورة. وكنت شخصا مطلعاً على لعاقات طلابنا بمحيطهم، وأؤكد بأنه لا يوجد طالب جزائري من بين حواري سبعين طالبا في دمشق يحمل بطاقة حزب آخر، أو له انتماء آخر غير انتمائه لجبهة التحرير"<sup>2</sup>. مما يبين ان تلك الاتهامات كان أمراً مقصوداً من طرف الطلبة الجزائريين المتمدرسين بأوربا لبقاء الاتحاد تحت سلطتهم لتمير رؤيتهم الثقافية في الجزائر المستقلة.

6 - ولم تفدنا مذكرات محمد مهري بالإشارة إلى نشاط الطلبة الجزائريين في خدمة الثورة التحريرية فقط، بل أفادتنا أيضاً بمعلومات قيّمة حول رابطة طلاب المغرب العربي ودورها في خدمة الثورة الجزائرية. هذه الرابطة التي تأسست خلال الموسم الدراسي 1956 - 1957، من طرف الطلبة الجزائريين والمغاربة وطالب واحد من ليبيا كان آنذاك بدمشق. وقد ترأسها أول الأمر طالب تونسي قبل أن تنتقل رئاستها في السنة الموالية إلى محمد مهري وكان امينا عاما للطلبة الجزائريين

<sup>1</sup> - سعد الله، مصدر سابق، ص 13، 14.

<sup>2</sup> - مهري، مصدر سابق، ص 141، 142.

بسوريا فرع دمشق<sup>1</sup>. هذا إضافة إلى الدور المغربي في دعم الحركة لتحررية الجزائر حين أرسل محمد بن عبد الكريم الخطابي في ربيع 1954 الضابط المغربي المتخرج من الكلية العسكرية بالعراق السيد محمد بن حمادي العيزي مع ضابط آخر لمساعدة الحركة الوطنية الجزائرية<sup>2</sup>. كما كانت مذكرات مهري أيضا نبعًا صافيا للاستزادة بالمعلومات التاريخية المصدرية في الدعم العربي للثورة الجزائرية من خلال ما خصصه لها من دور سوريا والمغرب العربي ومصر.

7- ومن ناحية أخرى تعتبر مذكرات محمد مهري مصدرا آخر لدراسة القضية الفلسطينية ومساهمة الجزائر في نصرتها منذ مطلع سنة 1967 تاريخ لقاء محمد مهري مع المناضل الفلسطيني الشهير رحمه الله تعالى محمد الخليل وبداية تأسيس حركة فتح والمقاومة الفلسطينية انطلاقا من الجزائر.

#### خاتمة:

لاشك أن مذكرات محمد مهري -وبناء على ما ذكرنا- أنها تحتوي على رصيد هام من تاريخ الجزائر يؤرخ لأحداثها التي مرت بها لا سيما في ثورتها المباركة . كما يؤرخ لفئة الطلبة الجزائريين عموما ورابطة الطلبة الجزائريين بالمشرق العربي عموما وفرع القاهرة خصوصا، إضافة إلى تأريخه لتفاعلات الجزائر مع المحيط الدولي من خلال دفاعها عن حقوق الشعوب في تقرير مصيرها ومجاهدة المد الصهيوني سواء على جبهة فلسطين وتأسيس منظمة فتح ودور الجزائر في ذلك، أو من خلال الصمود في وجه الحروب الإسرائيلية العربية سنتي 1967 و 1973 ودور الجزائر في ذلك . فمذكرات مهري تعتبر دليلا لمختلف المحطات التاريخية التي مرت بها الجزائر منذ الحرب العالمية الثانية وإلى غاية اليوم . وهي مهم جدا للطلبة والباحثين من دارسي التاريخ الحديث والمعاصر على حد سواء.

<sup>1</sup> - نفسه، وفي المذكرات إشارة إلى تلك الرابطة ص 123، 124 .

<sup>2</sup> - نفسه، ص 77. وللمزيد من الاطلاع حول صدى الشيخ الخطابي وثورته في الجزائر يراجع : مصطفى عبيد، "صدى ثورة الريف المغربية في كتابات الشيخ عبد الحميد بن باديس من خلال جريدة المنتقدمداخلة بالملتقى الوطني لوزارة الشؤون الدينية بالتنسيق مع مؤسسة الشيخ عبد الحميد بن باديس، قسنطينة يومي 17، 18 أفريل 2015. وكذلك: جاك بيرك وآخرون، الخطابي وجمهورية الريف ترجمة صالح بشير، دار ابن رشد، بيروت، لبنان، ط 01، 1980، ص 429.



مداخلة قدمت في اليوم الدراسي المنظم من طرف مخبر الدراسات و البحث في الثورة  
الجزائرية بقسم التاريخ جامعة محمد بوضياف بالمسيلة -26 أكتوبر 2015-